فن المعارضة في شعر عبد الملك بومنجل[1] إبـــداع أم اتبّـــاع؟

The art of opposition in the poetry of Abdelmalek boumendjal creativity or following?

د. فريد عوف*
Farid Aouf
مخبر البحث في الدراسات السوسيو لغوية والسوسيو تعليمية والسوسيو أدبية
جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، (الجزائر)
University of Mohamed Seddik Ben Yahia Jijel, Algeria
aouffarid69@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/08/07	تاريخ القبول: 2023/10/12	تاريخ النشر: 2023/12/15

مُلخّص البحث

– إن كار

"لولا أن الكلام يعاد لنفد" كلمة قالها الإمام علي -كرم الله وجهه- ليبيّن أنّنا نعيد كلام غيرنا، وأن كلام المتقدمين يتردد في كلام المتأخرين بصيغ أخرى.

والشعر عند أهل العلم صناعة أساسها الموهبة وإبداع عماده الحفظ. ولهذا وصل إلينا شعر القدماء محفوظا، ومضمّنا في شعر المحدثين، ولهذا التضمين أشكال ومستويات أبرزها وأوفاها فنّ المعارضة الذي هو لونٌ من بعث الموروث الشعري العربي القديم.

ويُعدُّ الشاعر الجزائري عبد الملك بومنجل من أكثر الشعراء العرب المعاصرين عناية بهذا الفن وميلا إليه؛ ففي شعره عدد وافر من القصائد تحضر فيها المعارضة بشكل أو بآخر. ويستهدف هذا البحث معالجة هذه الظاهرة الفنية، لمعرفة دواعي هذه المعارضة، ومنزلتها بين الإبداع والاتباع، ومدى قدرتها على مضاهاة القصائد المعارَضة أو تجاوزها فنيا.

الكلمات المفتاح : معارضات، شعر، بومنجل، جمال، فنّ، قديم، محدثون.

Abstract :

"If it were not for the fact that the words are repeated, we would have run out" is a word said by Imam Ali to show that we are repeating the words of others, and that the words of the applicants echo in the words of the late ones in other forms.

* فريد عوف: aouffarid69@gmail.com

For scholars, poetry is an industry based on talent and creativity based on memorization. This is why the poetry of the ancients has reached us preserved, and embedded in the poetry of the modernists, and this inclusion has forms and levels, the most prominent and fulfilled of which is the art of opposition, which is only a revival of the ancient Arab poetic heritage.

The Algerian poet Abdelmalek boumendjal is one of the most interested and inclined contemporary Arab poets to this art, as in his poetry a multitude of poems in which the opposition is present in one way or another. This research aims to address this artistic phenomenon, to find out the reasons for this opposition, its status between creativity and followers, and the extent of its ability to match or surpass opposition poems artistically.

Key words: oppositions, poetry, boumendjal, beauty, art, ancient, modern.

مقدمة:

"ولم يُقصِر الله العلم والشعر والبلاغة على زمنٍ دون زمن، ولا خَصَّ به قومًا دون قوم، بل جعل ذلك مشتَرَكًا مقسومًا بين عباده في كلِّ دهر، وجعل كلَّ قديمٍ حديثًا في عصره، وكلَّ شرفٍ خارجيةً في أوَّله".

كلمة من أنفس ما قيل في النقد الأدبي عن الإبداع بشكل عام، فلكلّ زمان فرسانه المجلّون الذين امتطوا جواد الإبداع والابتكار، وجعلوا من قراءتهم لإبداع أسلافهم سبيلا للإضافة والتميّز.

فالعلاقة بين القديم والجديد لا انفصام لها، إنّ نوابغ الشعراء اليوم جلسوا على موائد شعراء الأمس وأكلوا منها رطبا جنيّا، والإبداع شجرة ممتدة الجذور في بطون التاريخ.

والحديث عن فنّ المعارضة الشعرية هو إقرار بجسور التواصل بين القديم والجديد، فهي ضرب من التضمين والتقليد شبيه بما يطلق عليه اليوم مصطلح "التناص" أو "النص الغائب" أو "التعالق النصي"، أو "الحوارية" وإن كانّ فن المعارضة يختلف عمّا سبق بقواعد وضوابط يلتزم بها الشاعر، وهي محاكاة الشاعر شاعرا آخر محاكاة دقيقة في اللغة والوزن والقافية، مع الإضافة والابتكار.

والتاريخ الأدبي سجّل لنا كثيرا من المعارضات الشعرية منذ القديم لا يتسع المقام لذكرها، وقد تبلور هذا الفنّ في عصر الضعف، حيث عارض كثير من الشعراء بردة كعب بن زهير التي مطلعها:

إلى متى أنتَ باللّذّاتِ مَشغُولُ وَأنتَ عن كلِّ ما قَدَّمْتَ مَسؤُولُ

والحقّ أنّ المعارضة كفن أدبي أخذت مكانتها الأدبية في العصر الحديث عند الشعراء الإحيائيين كالبارودي وأحمد شوقي، وليس ذلك إلاّ إعجابا بالتراث العربي، واعترافا بمكانته ضمن الثقافة الإنسانية، وتعبيرا عن شدّة ارتباطهم بالشعر العربي القديم، وقد نال هذا الموضوع اهتمام الباحثين، منهم محمد محمود قاسم نوفل في كتابه "تاريخ المعارضات في الشعر العربي".

وفي هذه الورقة البحثية تنقيب عن هذا المصطلح التراثي "المعارضة" في قصائد شعرية لشاعر جزائري معاصر سطعت عبقريته الشعرية بدواوينه المتعددة (أنت أنت الوطن، غربة الشمس، الدكتاتور، حديث الجرح والكبرياء،وحي الألم، فليرحل الظلام، بهجة الروح وغيرها) .

ولا أعتقد بوجود دراسة سابقة لهذه المدونة في هذا الموضوع أي فنّ المعارضة، ولهذا وقع اختياري عليه لدراسة هذه الظاهرة الأدبية في شعر عبد الملك بومنجل، إلى جانب رغبة ملحة في البحث عن الأبعاد الجمالية والفنية والمقاصد الدلالية للشاعر عبد الملك بومنجل من معارضته لفحول الشعر العربي.

أمّا منهج الدراسة فهو الوصف والتحليل لتقصي هذه الظاهرة الأدبية، حيث كان الشاعر يستثمر القديم ويحوّره بما يلائم معناه الواقع و الحياة المعاصرة.

وأملنا أن نصل إلى نتائج تثلج الصدر، ونفي الشاعر حقّه، وبالله التوفيق.

1. المعارضة الشعرية؛المصطلح والماهية

1.1. التعريف اللغوي

تتّفق المعاجم العربية على أنّ معنى كلمة "معارضة" تعني المقابلة بالنقيض، المخالفة، الإتيان بالمثل، المبادلة، المجابهة، المقايضة. ففي لسان العرب لابن منظور جاء معناها: "وعارَضَ الشيءَ بالشيءِ مُعارضةً: قابَلَه، وعارَضْتُ كتابي بكتابه أي قابلته... عَرَضَ من سلعته: عارَضَ بها فأَعْطَى سِلْعةً وأَخذ أُخرى"[2]. أي بمعنى بادله السلعة.

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة وردت كلمة"معارضة"بالمعنى نفسه "... عارضه: رفض قولَه أو عملَه وناقَشه فيه، ناقضه في كلامه وخالفه، جانبه وعدَل عنه، قاطعه: عارَض بعضُ النُّواب مشروعَ الحكومة.

•عارَض الكتابَ بالكتاب: قابله به، ناقض كلامَه.

•عارَضَ شاعرًا: باراه، جاراه في شِعره وأتى بمثله أو أحسَن منه- معارضة الشّعراء ممتعة..."[3]. وفي هذا التعريف إشارة إلى المعنى الأدبي الذي هو فنّ المعارضة التي تعني أن يقتفي الشاعر طريقة شاعر آخر، فيأتي بمثله أو أحسن منه.

وقد ورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب للباحثين مجدي وهبة وكامل المهندس أن المعارضة هي "أن يحاكي الأديب في أثره الأدبي أثر أديب آخر محاكاة دقيقة تدلّ على براعته ومهارته مثال ذلك (نهج البردة) لأمير الشعراء أحمد شوقي بالنسبة لبردة البوصيري"[4].

والحقّ أنّ المعارضة ليست مجرّد محاكاة مطلقة، «لأنّ المحاكاة المطلقة عملية مجردة من عنصر الإبداع...وليس المعارضة كذلك"[5].

2.1. التعريف الاصطلاحي

أمّا المعنى الاصطلاحي للمعارضة فهو يشترك مع المعنى اللغوي في المقابلة والمجاراة، وهي "أن ينظم شاعر قصيدة في موضوع معين على غرار قصيدة قالها شاعر متقدم عليه في الزمن، ملتزما الوزن والقافية وحركة الروي، فضلا عن المضمون بالمتابعة والاحتذاء مجاريا ذلك الشاعر محاولا بلوغ شأوه ثم محاولا التفوق والإبداع، وهذا الضرب يمثّل المعارضة التامة"[6]. ومن هذا المفهوم يظهر أنّ المعارضة هي احتذاء شاعر سابق في الشكل من خلال الالتزام بالوزن والقافية نفسها للشاعر المحتذى، وفي المضمون أيضا، ومحاولة التفوّق عليه في الإبداع، وهذا ما يلغي مقولة عمر فروخ للمعارضة بأنّها "تقليد الشاعر لشاعر آخر..."[7].

ويعرّفها أمين علي سعيد بأنّها : نوع من الشعر يقوم الشاعر فيه بمعارضة أشعار شاعر آخر إعجابا به أو تهكّما عليه أو جوابا عن شعر له..."[8]. ومن الواضح في هذا التعريف أنّ الباحث أراد أن يبيّن دوافع المعارضة وهي ثلاثة: الأول دافع نفسي وهو الإعجاب بالشاعر، والثاني السخرية والتهكم من شاعر آخر، والثالث: المجاوبة وهي وجه من أوجه المعارضة، حيث تكون القصيدة جوابا لشاعر آخر أي ردّا عليه.

ويعرّف أحمد الشايب المعارضة بقوله: "المعارضة هي أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما من أيّ بحر وقافية ويأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفنّي وصياغتها الممتازة فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها، أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصا على أن يتعلّق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه...فيأتي بمعان وصور بإزاء الأولى تبلغها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل أو جمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة.."[9].

وممّا تقدّم فإنّ المعارضة هي إنتاج خطاب ثان مضاد، قد يكون أكثر بلاغة وجمالا فنيا، وقد يكون أقلّ من الأول، هي عمل خلاّق، إبداع وابتكار، هي مبارزة لإثبات الذات الأدبية والتفوق على من عارضه، ويقتضي وجود طرفين هما: النص المعارض(بفتح الراء)- وهو النص الأصلي أي النسخة الأولى، وهي النص الغائب، والثاني هو النص المعارض (بكسر الراء) وهي النسخة الثانية المطابقة للأولى ، وهي النص الحاضر الذي يشترك مع النص الأول في الدلالة واللغة والبناء الموسيقي، وقد يختلفان تماما في المعنى، ويتفقان في الشكل.

2.المعارضة الشعرية؛ المهاد والتأسيس:

1.2. المعارضات الشعرية في الشعر العربي القديم

عرف الأدب العربي في مختلف مراحله التاريخية معارضات شعرية كثيرة منذ صدر الإسلام، والعهد الأموي والعباسي، وفي عصر الانحطاط إلى العصر الحديث، ولا يمكن القول بوجودها في العصر الجاهلي على ما هو شائع لسببين : الأول هو عدم وجود نصوص سابقة لمعارضتها، والثاني محكمة الشعرية العربية القديمة في سوق عكاظ تردّ كلّ شاعر ضمّن من شعر غيره وتعدّه عيبا وضربا من السرقات.

وإذا استقرأنا تاريخ الأدب ألفينا كثيرا من القصائد لفحول الشعراء نالت حظوة في المعارضات لعظمتها وجمالها الفني عند شعراء المشرق والمغرب والأندلس، وكان الشاعر أبو الطيب المتنبي من الشعراء الذين ملأوا الدنيا، وشغلوا الناس بنفحاتهم الشعرية المتفردة، إلى جانب رائد مدرسة البديع أبي تمام والبحتري، وغيرهم كثير، فضلا عن شعراء المعلقات السبع.

ففي بلاد الشرق نجد من تلك المعارضات لبعض الشعراء الأمويين والإسلاميين والعباسيين كمعارضة الأخطل لـ كعب بن زهير، والكميت بن زيد لـ عمرو بن كلثوم، والبحتري لـ طرفة بن العبد، وشاعت المعارضات أكثر في عهد المماليك والعثمانيين نتيجة تراجع مكانة الشعر والشعراء، وإصابته بوباء التنميق اللفظي، فصار التضمين والاقتباس حلية شعرهم، يقول الشاعر مجير الدين بن تميم في قصيدة (أطالع كل ديوان أراه)[10]:

أطالع كلّ ديـــوان أراه ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمّن كل بيت فيه معنى فشعري نصفه من شعر غيري

وكانت المدائح النبوية أكثر القصائد معارضة؛ نذكر من ذلك معارضة البوصيري لقصيدة البردة لكعب بن زهير.

وفي المغرب الإسلامي عرفت المعارضات عند كثير من الشعراء كالشاعر ابن هانئ الذي كان مولعا بالشاعر أبي الطيب المتنبي حتى لقّب بمتنبي المغرب، وابن شرف القيرواني الذي عارض جريرا..

أمّا في بلاد الأندلس فمن الطبيعي أن تنتشر المعارضات لكون كثير من الشعراء كانوا نازحين من المشرق مع الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، ومن معارضاتهم: معارضة ابن شهيد لطرفة بن العبد ، وابن زيدون للمتنبي، والقصيدة العصماء لأبي الحسن الحصري القيرواني[11] التي كانت هدفا لمعارضة كثير من الشعراء لتفوقها وإبداعها. وتشير الدراسات إلى أنّ عدد المعارضين لها يفوق تسعين شاعرا وشاعرة، ومعارضة الشاعر ابن عبد ربه لأبي تمام، والحزم بن جهور لابن الرومي في وصف الورد، وابن عبدون قصيدة للمتنبي في المديح، وابن خفاجة لأبي تمام، وابن حمديس للشاعر امرئ القيس وغيرها.

2.2. المعارضة الشعرية في الشعر العربي الحديث

والحقّ أنّ فنّ المعارضة قد تأصّل في العصر الحديث، وصار له قواعده وضوابطه مع مدرسة الإحياء والبعث في مطلع النهضة العربية خلال القرن الثامن عشر، و الحركة الأدبية التي حمل لواءها الشاعر محمود سامي البارودي، حافظ إبراهيم، وأمير الشعراء أحمد شوقي، هؤلاء الشعراء الذين نهلوا ماء عذبا فراتا من ينابيع الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، وأخذوا اللغة العربية من المعدن النفيس، فازدادت

علاقتهم بالتراث العربي، و تمتّنت صلتهم بالماضي، فعكفوا على قراءة أشعار الجاهليين والإسلاميين والعباسيين، والأمويين، وجعلوها منطلقا للإبداع.

وفي تاريخ أدبنا العربي الحديث معارضات شعرية في غاية الأهمية، تفيض بسحرها وجمالها الخلاب، وتكشف عن مقدرة الشعراء الفنية واللغوية والبلاغية والإيقاعية في الاستفادة من الشعر القديم وتحويره للتعبير عن قضايا الواقع، ومن تلك المعارضات معارضة محمود سامي البارودي للشاعر أبي فراس الحمداني في قصيدة، يقول في مطلعها[12]: (على إيقاع الطويل)

أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهي عليك ولا أمرُ

ويحافظ البارودي على الوزن الشعري (بحر الطويل) والقافية نفسها، فيقول[13]:

طربت وعادتني المخيلة والسكرُ وأصبحت لا يُلوي بشيمتي الزجرُ

أمّا الشاعر أحمد شوقي فمن أروع معارضاته التي عبّرت عن شعريته قصيدة "يا نائح الطلح" في المنفى، تحمل هموم وطنه، وحرقة الغربة ، و تمتزج فيها تجربته الشعورية الصادقة، وصور الطبيعة الأندلسية الخلاّبة، وصور النفس المتفجعة، بلغة فنية راقية، لم تكن اجترارا- على خلاف ما يزعم معارضوه- لأنّ شوقي ربط موضوعه بالواقع، واستفاد من التراث الشعري بالرجوع إلى روائع الشعر الأندلسي كنونية ابن زيدون في الغزل العفيف، وهي قصيدة بعثها إلى ولادة بنت المستكفي، ومطلعها[14]: (على إيقاع البسيط)

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

في حين يقول شوقي[15]: (على إيقاع البسيط)

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

وفي موضوع المنفى أيضا يحاكي الشاعر سينية البحتري، ويحوّرها من سياق الرثاء في نسختها الأولى عند البحتري (وهي رثاء صديق له)، إلى التعبير عن حبّ الوطن، وآلام الاغتراب في نسخة ثانية جديدة، يقول البحتري[16]: (على إيقاع الخفيف)

صنت نفسي عما يدنّس نفسي وترفّعت عن جدا كلّ جبسِ

وفي المقابل يقول شوقي[17]: (على إيقاع الخفيف)

اختلاف النهار و الليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

وفي موضوع المديح النبوي اشتهر شوقي بمعارضته للهمزية النبوية للبوصيري التي مطلعها[18]: (على إيقاع الخفيف)

كيف ترقى رقيك الأنبياءُ يا سماء ما طاولتها سماءُ

ويقول شوقي[19]: (على إيقاع الخفيف)

ولد الهدى فالكائنات ضياءُ وفم الزمان تبسّم وثناءُ

فالشاعر أحمد شوقي عرف كيف يلج إلى أبواب التاريخ ليستلهم ما يعبّر عن واقعه وهمومه، لم يك شعره اجترارا ولا امتصاصا ولا سرقة ولا نسخا بل فيه سمات المبدع الحاذق، يقول محمد الهادي الطرابلسي: "لم تقم المعارضة عنده (أي شوقي) على السلخ ولا المسخ ولا كانت ترجمة مجردة للنصوص من لغتها القديمة إلى لغته الحديثة وإنما كانت المعارضة عنده بمثابة ما يسمى اليوم بالقراءة الجديدة للموضوع المشترك أو المتقارب"[20].

هذا، ناهيك عن معارضات أخرى لا يتسع المقام لذكرها كمعارضة البارودي لعنترة بن شداد، والنابغة الذبياني، وأبي نواس، والشريف الرضي، والشاعر أحمد شوقي لأبي تمام، وللمتنبي، وغيرهم .

3. فنّ المعارضة في شعر عبد الملك بومنجل، الدواعي والتمظهرات

مدخـــــل:

إنّ الحديث عن فنّ المعارضة عند الشاعر عبد الملك بومنجل هو كلام عن علاقته بالتراث الشعري العربي، وصلته القوية به، وكلّ محاولة لبناء حداثة شعرية بالقطيعة مع الماضي تبوء بالفشل، لأنّها في الحقيقة هي قطع الحبل السري مع الهوية والانتماء ، فكيف نحن إذن نبني حداثة شعرية تنشأ من العدم؟

والتراث الشعري عند عبد الملك بومنجل مكوّن أساسي في شعره ، لأنّه جزء من إرث هذه الأمة، لا يمكن أن نحيا من غير أن نستنشق نسماته، ومن ثمّة فإن أعماله الشعرية من ديوانه (أنت أنت الوطن) إلى (وحي الألم) كانت دفاعا عن هذا الإرث، واعترافا بعظمته، وإعجابا ببحره الزاخر الذي لا تفنى عجائبه، وإحياء للمجد التليد في زمن النكسات.

وكان للشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين أثر بالغ في نبوع شعريته. وما يدل على ذلك كثرة تقاطعه معهم استفادةً من تجاربهم، لأنّها نماذج شامخة خلّدها التاريخ، وفي هذا الصدد يقول:: "كم هو لذيذ وجميل ومبدع أن تتقاطع مع هؤلاء الشعراء العظام وتتجاور مع قصائدهم الشامخة التي ما خلقت إلاّ لتحيا وتخلد وتسير وتشرد، فإذا بها تنتصب أمامك بكلّ سحرها وجلالها وجبروتها كذلك، فلا تملك إلا أن تتجاوب معها في عناق طويل، وأنت تشعر أنّك تحتضن الإبداع والجمال والمجد والحضارة والكبرياء، وتسترجع ما أفلت في زمن التخلف والضياع لتصنع منه صرحا بالكلمة وعبقا بالقصيدة"[21].

وسنسعى في هذه الورقة البحثية إلى التنقيب عن علاقة بومنجل بموروثنا الشعري من خلال معارضته لكبار الشعراء كالمتنبي وامرئ القيس في بعض قصائده "أين أزمعت،ابتسام الغريب، العلم والجهل، معلقة الليل، فليرحل الظلام، الوباء القديم، يا أقلام فانكسري"، وهي قصائد مبثوثة في دواوينه الشعرية. فهل كانت معارضاته مجرد اجترار وامتصاص وتقليد لهؤلاء الشعراء أم هي إبداع؟

1.3.. دواعي المعارضة في شعر عبد الملك بومنجل.

لماذا المعارضة الشعرية؟ إنّ المعارضة الشعرية هي بشكل عام تقدير للموروث الشعري العربي، واعتراف بمكانته في الثقافة الإنسانية، والرجوع إليه هو بعث لهذا المجد العظيم، ورسالة حضارية للأمة العربية لتعود إلى أيام عزّها ورشدها.

وفي كتاب (هذه تجربتي، هذي رؤيتي) تحدّث بومنجل في حوارته عن دواعي معارضاته للشعر العربي القديم، ويمكن أن نلخصها فيما يلي:

أ/الحنين إلى المجد العربي:

وهو الشوق إلى ماضي الحضارة الإسلامية أيام عزّها وعظمتها، أيام كان للمسلمين شأن وصولة، فهم ينتصرون دوما على كلّ أعدائهم بالكلمة وبالقوة. يقول بومنجل: "هل كانت المعارضات الشعرية في زمن الإحياء إلاّ حنينا إلى هذا المجد، ومعانقة لهذا الكبرياء. وهل كانت -مع أنّها معارضات- إلاّ شعرا جميلا ينبض بالحياة ويتدفّق بأحاسيس العصر وتجارب الشاعر المعارض لا المعَارض"[22]، وقد أشار بومنجل في حديثه هذا إلى معارضة أحمد شوقي لنونية ابن زيدون.

ب/ التقليد والإعجاب:

إنّ تقليد روائع الشعر ونفائس القصائد من الشعر العربي والعالمي والتأثر بها ليس عيبا، فالنجّار إذ يصنع أثاثا فاخرا يكون قد حاكى نماذج سابقة رآها ، والرسّام إذ يبدع لوحة تشكيلية يكون قد حاكى الطبيعة، وهكذا، فالإبداع شجرة ممتدة الجذور من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، والتقليد لازم للأدب، بحيث لو حاول أحد الشعراء أن يكون مجددا في فترة التقليد هذه لما أمكنه ذلك، لأنه لا يملك من الطبع والقابلية ما يعينه على التجديد ، كما لا يجد نماذج من الشعراء تصل إلى طبقة الفحول كالمتنبي و أبي تمام.

و يثير بومنجل مسألتين هما: من هم الشعراء الجديرون بالمعارضة والتقليد؟ وما هي النصوص الجديرة بالتقليد؟ يجيب قائلا: "نعم ليست كل المعارضات على هذا القدر من الشاعرية، ولكنا نريد التنبيه إلى أنّ التأثر ليس عيبا، والتقليد ليس نقيصة دوما، وأنّ الأمر سواء في هذا الشأن، بين من يقلّد إليوت أو نزار أو أدونيس ومن يقلد ابن زيدون أو البحتري أو المتنبي. وأنّ الشعر يقاس بجودته قبل أن يقاس بجدّته، وبقيامه على أصول الصنعة واستمداده من الرصيد الحيّ للأمة قبل إحداثه لأشكال جديدة وإبداعه للغة خاصة أو صور متفردة قد لا نعثر فيها على ماء و لا نحس لها رسيس حياة"[23]. فالتقليد ظاهرة محمودة شريطة حسن اختيار النموذج الذي نقلّده شاعرا أو قصيدة، لأنّه لا يستوي أن نقلّد فرسان الشعر العربي أو أن نقلد من هم أقلّ منهم شاعرية، وقيمة الشعر في جودته لا حداثته.

إذا تصوّرت أنّك صانع متمرّس للسيارات، ولفتَ نظرك سيارة فاخرة أبهرتك ونالت إعجابك فما لا شكّ فيه أنّك ستسعى لتصنع واحدة مثلها أو تفوقها جمالا؛ فكيف إذًا أن تكون شاعرا وتطالع روائع الشعر العربي ولا تعارض قصيدة أو تحاكي نظما؟ إنّ الانبهار والإعجاب لا يتأتيان إلاّ للرائع والجميل، لقد نالت قصائد المتنبي إعجاب الشاعر بومنجل، وكان لها أعظم الأثر في بناء شخصيته الشعرية.

ج/التجـــــديد والإبداع

إنّ نزعة التجديد والإبداع هي التي حملت الشاعر بومنجل على معارضته لعيون الشعر العربي، وهذه المعارضات على نمطين: تامة وناقصة. إنّ الشاعر الكبير تستهويه شهوة الشعر، وتأسر قلبه، فيمر في القصيدة المعارضة على المعنى الجليل والصورة الأنيقة والأسلوب البديع، ويقع في نفسه، فتتحرك شهوة المزاحمة، وتدفعه طبيعة المغالبة إلى نظم الشعر وفق ذلك النحو أو أحسن بكثير ، ومثال ذلك معارضته في ديوان (أنت أنت الوطن) لقصيدة المتنبي التي مطلعها:

أين أزمعت أيّهذا الهمام نحن نبت الربى وأنت الغمام

فالشاعر الجديد يستحضر الشاعر القديم نصا وتجربة عبر نصه داخلا معه في منافسة من نوع خاص،لكنه لا يتوقف -غالبا - عند حدود بنية النص السابق،بل نجده يعيد بناءه مضيفا للنص القديم حياة جديدة. وخلاصة الأمر أن المعارضة لقاء شعري بين شاعرين لم يجمعهما المكان ولا الزمان، ولكن جمعتهما حالة شعورية واحدة منتجة لنص يتولد عنه حالة أخرى تجمع بين الجدة والتشابه[24].

د/الدفاع عن الهوية والانتماء

لقد كان دفاع الشاعر عبد الملك بومنجل عن قيم العروبة والإسلام أعظم رسالة جسّدها في شعره، ومعارضته للشعر العربي القديم هو تذكير بالصرح الحضاري لعظماء الإسلام ، حيث كان الشاعر العربي في الماضي يتغنى بالأمل والتفاؤل والعزة والإباء، وناب عنه اليوم التشاؤم والألم والمعاناة والشعور بالضياع وسط أمة تمزّقت أشلاؤها، وتصدّع كيانها، وتهدّم بنيانها، ومن ثمّ وجد شاعرنا متنفّسا وهو أن يحيي هذه الأمجاد السابقة، استنهاضا للهمم والعزائم للاقتداء بتجاربهم وقيمهم كشجاعة عنترة وفروسيته، و إرادة المتنبي وعزيمته وحكمته، وبدائع أبي تمام، وصمود صلاح الدين، وغيرة الخليفة المعتصم على الشرف العربي. ففي قصيدة (طعنات في ظهر عزة) من ديوانه (عناقيد الغضب) يدعو العرب إلى تحطيم القيود، ورفع الذلّ، و أروع ما في هذه القصيدة من تعالق نصي أو ما أطلقت عليه البلاغة العربية القديمة "التضمين"، تقاطعها مع ميمية المتنبي رغبة منه في استنهاض العزائم العربية لتنفض عن نفسها غبار الذلّ والاستكانة، لأنّها إذا ألفته صار كالجرح الذي لا يحس به الأموات، وفي هذا يقول[25]:

وأعيـــــدي إلى الحمى المتنبي ملء فيه عرامـة واضطرامُ
"من يهن يسهل الهوان عليه ما لجـــــــــــرح بميّت إيلام"

2.3. تجليات المعارضة في قصائد عبد الملك بومنجل بين الإبداع والاتباع

1.2.3. حضور الشعر الجاهلي في معارضات الشاعر عبد الملك بومنجل

للشعر الجاهلي حضور في معارضات الشاعر عبد الملك بومنجل، و نخصّ بالذكر قصيدة "معلقة الليل" في ديوان "وحي الألم" التي عارض فيها معلقة الشاعر الجاهلي امرؤ القيس ، وقد كان الحوار بين القصيدتين

فنيا وجماليا رائعا، أتاحت الملكة اللغوية للشاعر وموهبته الفطرية من إبداع خطاب شعري ثان يمتاز بجزالة اللغة، وجمال الصورة، والإيحاء بالرمز، والالتزام بالواقع، فامرؤ القيس يدعو إلى الوقوف على الأطلال، ويسرد تجاربه الخاصة من رحلة الصيد ووصف الليل والفرس، في معلقته التي مطلعها:[26] (على إيقاع بحر الطويل)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمـــها لم نسجتها من جنوب وشمـــأل

أمّا الشاعر عبد الملك بومنجل فيدعو إلى الوقوف على واقعنا الأليم المهلهل، حيث صرنا في الحضيض آخر أمّة ، إذ فاح البؤس في كل منزل، والليل أرخى ظلامه بأنواع الفساد، يقول بومنجل: (على إيقاع بحر الطويل)[27]:

قفا نبك من ذكرٍ لوضعٍ مهلهَلِ غدونا به في العالمين بأسفـــلِ
ترى بعر الأوغاد ملء ربوعنا وقد فاح منه البؤس في كلّ منزلِ

وإذا كانت معلقة امرئ القيس تعبيرا عن تجربة فردية ، وتصويرا لقساوة الحياة الجاهلية التي تقوم على الحل والترحال، ووصف متعة رحلة الصيد، وامتطاء الفرس، وأهوال الليل المخيف، فإنّ (معلقة الليل) للشاعر عبد الملك بومنجل هي تجربة شعرية عامة، لأنّه نقلها من الحديث عن الذات إلى تصوير أحوال المجتمع البائس مستثمرا الجوانب الفنية لمعلقة امرئ القيس من المحافظة على الإيقاع (بحر الطويل وقافية واحدة)، والمعجم الشعري (مهلهل، كلكل، فانجل، الخدر، قيد الوابد هيكل)، وهنا ظهرت براعة الشاعر في نسج خيوط تجربة شعرية جديدة مفعمة بالحزن والأسى على ما آلت إليه الأمة[28] :

تفجّـــر قلبي بالأسى غير أنّني شهرت بوجه البغي شعري ومنجلي

والليل عند الشاعر امرئ القيس حيّز زماني، وطوله بسبب طول المعاناة والشدائد والهموم والأرق، فالمهموم يستطيل ليله، والمسرور يقصر ليله، والليل عند الشاعر بومنجل صورة إيحائية رامزة للظلم والمعاناة والقهر الذي يعيشه الوطن، والفساد الذي دبّ فيه، يقول بومنجل[29]:

وليل بلون القهر أرخى ظلامه علينا بأنواع الفســـاد ليبتلي
فقلنا له لمّا تمطّى بقيصـــــــل وأردف عتبونا وناء بقوجـل
ألا أيها الليل القبيح ألا انجـــل سريعا، وكن عنّا الغداة بمعزل

إلى جانب معلقة امرؤ القيس تأثر الشاعر عبد الملك بومنجل بمعلقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها[30]:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

حافظ الشاعر على البنية الإيقاعية للقصيدة (بحر الوافر وقافية واحدة)، لكنّه حوّر مضمون القصيدة وفق الموقف الشعري وهو تصوير الواقع المعيش في قصيدته الموسومة بـ (الوباء القديم) وهي تواكب الجائحة التي أصابت العالم سنة 2018م مثلما أصابت الجزائر، وهي كورونا، ولم يقتصر الشاعر على وباء كورونا، بل تحدّث

عن أوبئة أخرى شائعة في الجزائر أخطر من هذا الوباء، بأسلوب راق من التصوير الفني والأداء الجمالي، والالتزام بالواقع، فالشاعر يحمل هموم الشعب والوطن، ويعبّر عن الحزن والمعاناة وعمق الجرح، ويسعى إلى التغيير بإيقاظ نفوس ذوي الهمم والعزائم، يقول بومنجل[31]:

يسيرٌ ما فعلتِ بنا كرونـــا وإن ظنّ بك الغلاة الظنونا
فإنّا قبل قد ذقنا طويـــلا من الأدواء والبلـوى فنونا
وقد أهوى بنا الفيروس أرضا وأقعدنا، فنحن المقعدونـــا

إنّ هذا الوباء يسير في نظر الشاعر قياسا بأخطر وباء فتك بنا هو تراجع مكانتنا إلى الحضيض نتيجة الضعف الذي دبّ فينا، ورضوخنا للاستعمار، فصرنا فريسة له، يقول بومنجل[32]:

نزلنا من ربى شرف تولى إلى درك نؤلفـــــه متونا
فالاستبداد يشبعنا هوانا فنألفه ونشبعه سكـــــونا
وروح الذل تصنعنا صخورا يشيد بها العتاة لهم حصونا
وخلف الجهل نقبع لا نبالي بما صنـــع الأراذل يمكرونا

2.2.3. حضور المتنبي في معارضات الشاعر عبد الملك بومنجل

لأبي الطيب المتنبي أثر كبير في شعرية عبد الملك بومنجل، ومن الأهمية بمكان الاستفادة من التجربة الشعرية لشاعر قيل عنه الكثير من أنصاره ومن خصومه، إذ كان له صدى في زمانه وبعد زمانه بشعره الذي يجمع بين الإيقاع الساحر، والصورة الرائعة، واللغة الراقية، والحكمة البليغة، والقيم الإنسانية كالطموح والعزم والإرادة .

و إحياء بومنجل قصائد الشاعر أبي الطيب المتنبي لم يكن تكرارا أو امتصاصا بل "استحضارا فنيا وحوارا جماليا وضربا من الإبداع يقوم على التوليد والتحويل والوصل بين عصرين وانفعالين وتجربتين في قصيدة تتناغم فيها الأصداء وتتعانق الظلال والأضواء"[33].

ففي قصيدة " أين أزمعتَ أيّهذا الحمام" من ديوان "أنت أنت الوطن" يحاكي الشاعر ميمية المتنبي -في مدح الخليفة العباسي سيف الدولة الحمداني الذي عزم على الرحيل عن أنطاكية- التي مطلعها: (على إيقاع الخفيف)[34]:

أين أزمعت أيّهذا الهمامُ ؟ نحن نبت الربى وأنت الغمامُ

فإذا كان المتنبي يشيد في هذا البيت بفضائل الممدوح وهو المقصود بالخطاب أي سيف الدولة الحمداني، قائلا له: "أين عزمت أن تسير أيها الملك العظيم، ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا..."[35].

فإن الشاعر عبد الملك بومنجل يخاطب في قصيدته المعارِضة كائنا أنثويا رمز له بالحَمام، فحوّل المقام من المدح إلى الغزل، واتخذ من القصيدة فضاء رحبا للتعبير عن تجربة شعرية صادقة مفعمة بالحزن والأسى والمعاناة،

وعمق الجرح، فهو يبث شكواه إلى (الحمام) الذي رحل وترك الشاعر يعاني الوجد والشوق، ومضى وهو الغمام الذي روّى الشاعر، يقول بومنجل: (على إيقاع الخفيف)[36]:

أين أزمعتَ أيهذا الحمـــامُ؟ أنا رهنُ الجوى و أنت السلامُ
أين أزمعت راحلا بفؤادي؟ وبك الجرح نازفا يلتـــــــامُ
كيف تمضي مخلفا نبض قلبٍ أنت فيه الإسرار والإلهـــام؟

فالشاعر يخاطب الحمام الذي رحل وترك جرحا لا يلتئم إلاّ به. ومخاطبة (الحمام) له بعد شاعري، لأنّه على سبيل المجاز، إذ هو رمز للمرأة.

وهذا على خلاف المتنبي، فالتعبير حقيقي، لأنّ (الهمام) من الهمة وهو الرجل العظيم، فالحياة متوقفة على الممدوح وهو سيف الدولة الحمداني، فهو السحاب، وهو المحارب، وهو الكريم، بينما يمثّل الحمام عند بومنجل ملهم شعره، و حرقة عشقه، ومصدر سعادته وسلامه.

وتتّسم قصيدة بومنجل تتسم بالصدق الفني، حيث تطفو فيها الأحاسيس الجياشة، ومشاعر الحزن والغربة، "لأن الشعراء الكبار هم الشعراء الذين حملوا في الحياة جراحا، وعبروا عن مأساة الإنسان في صراعه مع الدهر، أو طموحه إلى المجد"[37]. يقول بومنجل[38]:

في محياك أدفن اليوم جرحي يا لجرح تنهل منه السِّجامُ
بك روض من رائعات الأماني بك تزهو..تخضوض الأيام

وإلى جانب الصدق الفني في قصيدة بومنجل هناك ظاهرة فنية تحدّث عنها الرومانسيون وهي الوحدة العضوية. فإذا كانت قصيدة المتني مبنية على وحدة البيت، فإنّ قصيدة بومنجل متلاحمة الأجزاء تلاحما عضويا وشعوريا، فلا نستطيع أن نحذف أو نقدّم بيتا على آخر، يقول بومنجل:

غرّد القلب كأنّا نجـــــــــواه وأسرت أفراحَها الأحـــــلامُ
ومضى القلب ينهل السحر سرّا يا لَسرٍّ ينساب فيه الحمـــام
يجمح اللحظ نحـــــوه ثم يغضي وعلى الطرف من حياء لجام

ومن هنا، فإنّ معارضة الشاعر عبد الملك بومنجل كانت معارضة جزئية تقتصر على الناحية الشكلية وأخص بالذكر الإيقاع الشعري من الوزن والقافية، أمّا المضمون فيختلف تماما لاختلاف مقاصد الشاعرين، فالمتنبي سلك مذهب القدامى وسار على خطاهم في مدح الملوك والتقرب منهم لنيل العطاء، أمّا بومنجل فتتدفق قصيدته بالحيوية والشاعرية وأنغام حزينة يمليها الفراق وتتعانق فيها الأبيات شعوريا لتثير فينا أحاسيس الشوق والحزن والألم والمعاناة.

وفي قصيدة "يا أقلام فانكسري" من ديوان "الدك(تا)تور" يلتقي بومنجل لقاء عفويا شعوريا مع الشاعر أبي الطيب المتنبي محاكيا قصيدته (ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه)، مستثمرا تجربته الشعرية، لأنّ هناك أحاسيس واحدة تجمعهما، وهي الشعور بالغربة، والإحساس بالاغتراب ، فلا وطن يأويه، ولا سكن يضمه، ولا مقام

له، لأنّ وطنه استولى عليه عبيد الجهل، وعاثوا فيه فسادا، وسلبوا حقوق أهل العلم؛ فذوو العقل يشقون بعقولهم، وذوو الجهل يمرحون في النعيم، ومن ثمة سيكون للشاعر المصير الذي لقيه المتنبي وهو الغربة والذهاب إلى وطن أو مكان يحقّق فيه أمانيه وينصفه ويقدّر منزلته.

وفي هذه القصيدة اعتمد الشاعر على تحوير أبيات قصيدة المتنبي بما يلائم الموقف الشعري والتجربة الشعورية، واستطاع أن يجمع بين عصرين: عصر المتنبي وما لقيه في زمانه من محن، حيث توالت عليه الوشايات في قصر الخليفة العباسي سيف الدولة الحمداني حتى وجد نفسه مشرّدا، وعصر الشاعر وما لقيه من إحن شأنه شأن كلّ حملة العلم والأدب.

فالمتنبي يبتدئ قصيدته نادبا زمانه، شاكيا بعده عن أهله ووطنه، فلا شيء يلهو به ، ولا سكن يأويه، فقال: (على إيقاع البسيط):[39]

بم التعلل لا أهل ولا وطنُ ولا نديم ولا كأس ولا سكنُ

وفي المقابل يفتتح بومنجل قصيدته واصفا الشعور نفسه مع المتنبي وهو الإحساس بالغربة، مغيّرا عجز البيت لما رأى فيه من طيش ولهو، فقال: (على إيقاع البسيط)[40]:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا مقام ولا أفق ولا سكن

والطموح إلى العلا صفة الشاعرين، فالمتنبي يطلب أن يبلغ أعلى المراتب التي لم يبلغها زمانه، فيقول[41]:

أريد من زمني ذا أن يبلّغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمنُ

في حين يرى بومنجل، مستثمرا القالب التعبيري نفسه، أنه يطلب من وطنه أمرا شبيها بالمستحيل؛ إذ الوطن مسلوب الإرادة في إدارة مقدَّراتِه، وهو يريد منه ينزله منزلته التي يستحقّها، فيقول[42]:

أريد من وطني ذا أن يملّكني ما ليس يملكه من نفسه الوطنُ

وفي القصيدة أبيات كيفها الشاعر بما يناسب التعبير عن الواقع المعيش بتصوير المعاناة اليومية للأستاذ، فلا مال يسدّ به حاجاته، ولا سكن، يقول[43]:

يلقى الأساتيذ في عليائهم نصبا ويمرح الجهل في النعماء والعفـــنُ
ويشرب المرّ أخيار لنا زمـن ويلبس الدرّ في ظلمائه الـــوثن
لا تلق درسك إلاّ غير مكترث ما دام يحبس عنك المال والسكن

فلا حلّ إلاّ في الهجرة إلى بلد ينصفه، ويحقق آماله، وهنا يستحضر الشاعر بيتا شهيرا للمتنبي، فيطوّعه لغرضه[44]:

وإن قدرتَ فغادِ البحرَ وامض فقد تجري الرياح بما قد تشتهي السفن
حيث المقام رفيـــع لست مغتربا وحيث ومض الأماني ثمّة الوطـن

في حين يرى المتنبي أنّ الآمال لا تتحقق كلّها، وهي حكمة، حيث يقول[45]:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

لقد استفاد بومنجل من قصيدة المتنبي حسّه الشعوري بالاغتراب وطموحه إلى المجد، متساميا إلى معالي الحياة ، رافضا لزمنه الذي لم ينصفه.

3.2.3. حضور الشعر الحديث في معارضات الشاعر عبد الملك بومنجل

للشعر الحديث نصيب من معارضات الشاعر عبد الملك بومنجل لاسيما الشعر المهجري لما يتميّز به من تدفق عاطفي وبعد إنساني تفاؤلي، وكان لهذه القيم الإنسانية التي تغنّى بها شعراء المهجر أثر كبير في شعرية بومنجل ولا سيما شاعر التفاؤل إيليا أبوماضي.

ففي قصيدة (ابتسام الغريب) من ديوان (غربة الشمس) استدعى الشاعر قصيدة إيليا أبي ماضي (ابتسم)؛ ترى كيف كان التعالق بين القصيدتين؟ هل كان حضورا فنيا؟ أم موضوعيا؟ أم إيقاعيا جماليا؟

وُصف الشاعر إيليا أبو ماض بشاعر التفاؤل لأنّه في جلّ قصائده يدعو إلى الإقبال على الحياة والتمتع بملذاتها قبل أن ينقضي العمر، فالحياة جميلة رغم وجود كلّ ما يعكّر صفوها أيّها الإنسان، ومن الأفضل للإنسان أن نبتسم (ابتسم مادام بينك وبين الموت شبر، يقول أبو ماضي في قصيدة (ابتسم) (على إيقاع بحر الكامل)[46]:

قال السماء كئيبـــــــــة وتجهمّا قلت ابتسم يكفي التجهم في السما
قال الصبا ولّى فقلت له ابتسم لن يرجع الأسف الصبا المتصرّمـــا
قال البشاشة ليس تسعد كائـنا يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغمـــــــا
قلت ابتسم مادام بينك والردى شبر، فإنّك بعد لن تتبسّمـــــــــا

ومن هنا فقد كان منطلق الشاعر إيليا أبو ماضي مبنيا على الفلسفة الوجودية في نظرته للحياة التي هي متعة وتنتهي بالموت، ولا حياة بعدها، لذا يدعو الشاعر إلى أن نبتسم للجميع؛ للصالح والطالح، وللأمين وللخؤون وللصادق والغادر وللعدو ولنوائب الدهر التي جرعتنا المرارة .

أمّا الموقف الشعري للشاعر عبد الملك بومنجل فهو يتفق مع الشاعر إيليا أبي ماضي في كون الحياة جميلة بهيجة ، لاسيما في الجانب الإنساني، رغم ما استشري فيها من مفاسد وألم ومعاناة، ونزعة الشرّ لدى الإنسان التي سلبت منه نعمة التمتع بخيراتها، لكن يناقضه في نظرته للجمال، وفي دعوته إلى أن نصرف بصرنا عمّا حولنا، إذ يجب أن نلتفت ونحدق ببصرنا لنصلح حالنا، يقول بومنجل[47]:

قال الحياة جميلة وتبسمـا قلت: التف، وانظر هناك، فربما
قال: الحياة بهيجة، وأنا بها مستمتع، فلمَ التلفّت عن ... لمـا؟

فطرفا الحوار في القصيدتين متناقضان: قال السماء كئيبة.... قلت : ابتسم
قال الحياة جميلة.... قلت: التفت

بين الابتسام والالتفات فارق دلالي، فـ(ربما) فتحت تأويلا لمظاهر تحجب البسمة؛ إنّها الإنسانية المتوحشة، فالحياة جميلة عند بومنجل لكن جنت عليها يد الإنسان بالقهر والظلم والتسلط والاستعباد،

واستنزفت الطبيعة، فلا القمر صار قمرا، ولا الحدائق حدائق، فقد خبت أزهارها، و ترى المزابل كقمم الجبال، والدخان يتعالى في السماء. يقول بومنجل [48]:

قلت: التفاتك أن ترى قمرا وقد أزرى به نكد الزمان فأظلما
وترى الحدائق قد خبت أزهارها فغدت ركاما خامدا ومحطما
وترى المزابل تشربت كأنهـــا قمم الجبال يضمها أفق السما
وترى مواكب للدخان وقد علت فغدا بها وجه السما متجهما

فسعادة الوطن أن ترى الناس يعيشون في عزة وكرامة وإباء وحرية وسيادة، ليسوا أذلة كالعبيد، عندئذ يعود للحياة سحرها وطعمها وجمالها، وفي هذا يقول :

قلت الدناءة للعبيد، وليس لي من لذة إلاّ الحياة مكرمـــا
لست الذي يطأ التراب بذلة ولقد يراني الله حرا مكرمـــا
قلت: ابتسم، إن الحياة جميلة بالكبرياء، وإن جرعت العلقما

وما يمكن أن نخلص إليه أنّ بومنجل في معارضته لقصيدة الشاعر إيليا أبي ماضي استفاد من البعد الإنساني للمهجريين للتعبير عن تجربته الشعورية، والدقة في التصوير، والصدق الفني. إنّ البسمة لا تكون في محيط ملوث كالمأتم، وفي وطن يذلّ العزيز، ويعزّ الذليل، و يسيّد الهامش، ويهمّش المركز، نعم نبتسم للحياة عندما تجري المياه في مجاريها.

وفي هذا الديوان نفسه (غربة الشمس) عارض بومنجل قصيدة شعرية لأحد الأدباء هي بمثابة مناظرة بين العلـــم والعقل، مطلعها: (على إيقاع بحر البسيط):

عِلم العليم وعقل العاقل اختلفا من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا

إذ استثمر بومنجل القصيدة نفسها، لكنّه حوّر المناظرة والجدل بين نقيضين هما العلم والجهل محافظا على الإيقاع نفسه (بحر البسيط والقافية الواحدة)، وكانت المناظرة أرقى فنيا ودلاليا، لأنّ العقل والعلم لا يتعارضان، بينما العلم والجهل ضدان لا يلتقيان، وكلّما كان الضدّان في الحوار اشتد الصراع، ، يقول بومنجل في قصيدة (العلم والجهل)[49]:

علم العليم وجهل الجاهل اختلفا من ذا الذي منهما بالخير قد وكفـا
فالعلم قد قال: أنا مفتاح بهجتكم في الجنتين، وبي الرحمن قد وُصفا
ولي على الناس فضل ليس ينكره إلا الجهول الذي عن نوره انصرفا

أمّا الجهل فيقول[50]:

والجهل قال وقد واتته فرصتـــه وافتَكّ من خبرة الدنيا له طُرفـــا
أنا الذي يسعد المحظوظ بي، وأنا من لا ترى العيش إلا بي حلا وصَفا

و ليس من الغرابة في نهاية القصيدة أن يفضي الحوار باستسلام العلم، لأنّ الجاهل لا يمكن إقناعه، وكم من العلم لا ينفع صاحبه، فلا أدب ولا أخلاق، وقد عبّر الشاعر عن هذه الفكرة في صورة فنية رائعة، فقال[51]:

تلعثم العلم إذ ضلت إجابته فطأطأ الرأس محزونا ومنكسفا
ثم استعاد يعيد الغمّ مهجته فقبّل العلم رأس الجهل وانصرفا

هذا، و قد استفاد الشاعر أيضا من التجربة الشعرية للشاعر العراقي أحمد مطر، ففي ديوان (فليرحل الظلام) وقصيدة بالعنوان نفسه عارض بومنجل قصيدة أحمد مطر (صباح الليل يا وطني). وتظهر المعارضة، علاوة على الوزن والقافية، في البناء القصصي المتدرج، وفي تكرار اللازمة التي هي عند أحمد مطر: "لم يكتف النظام"، وعند بومنجل: "لم يرحل الظلام". والقصيدتان من شعر التفعيلة، وقد ورد في مطلع الأولى[52]: (على إيقاع بحر الرجز)

كان النهار قاتما
من شدة القتامة
لو سلم المرء على صاحبه
لاحتاج أن يلبس نظارته
ليسمع السلام!
لم يكتف النظام.

و على هذا النسق الشعري بنى الشاعر قصيدته (فليرحل الظلام) على إيقاع بحر الرجز، وفي بنائها الفني باستعمال رمز الليل،الظلام اللذين يدلان على الظلم والاستبداد، حيث كان أحمد مطر ناقما على الحاكم الفاسد الذي حوّل النهار إلى ظلام دامس وقضى على الأحلام والآمال، والنور، ولم يكتف النظام بهذا بل قضى أيضا على الظلام ، وظلّ قائما ولم يرحل، يقول أحمد مطر[53]:

هل اكتفى ؟
.. وا أسفا
لم يكتف النظام
**
صار النهار ليلة داجية
من شدة الظلمة
صارت لا ترى طريقها الأحلام!
قلنا عسى أن يكتفي
لم يكتف النظام

أمّا الشاعر بومنجل فقصيدته التي عنوانها (فليرحل الظلام) من الشعر السياسي الذي واكب موجة الحراك الشعبي المبارك في الجزائر سنة 2019م حيث الهدف رحيل النظام الفاسد الذي يسعى لإبقاء الشعب الجزائري في ظلام دامس ، غير أنّ الشعب الجزائري وقف وقفة رجل واحد ونادى صارخا (فليرحل النظام)؛ يقول بومنجل[54]: (على إيقاع بحر الرجز)

صاح الحراك كله، صبّاره وفلّه
فليرحل النظام
هبّ الحراك كلّه
وصاح ملء عزمه:
فليرحل الظلام كلّه
فليرحل الظلام

وقد ظهرت براعة الشاعر بومنجل وقدرته الإبداعية في نسج خيوط موضوعه في حوار فني شيق بين الحراك والظلام عبر المتخيل الشعري (أجابه الظلام في رسالة مهورة بختمه / سيرحل النظام)، كما توالت الصور الفنية بتوظيف التراكيب الاستعارية (صم الظلام سمعه/ وراح يغوي جمعه/في غرف مظلمة/ لم يسمع الكلام)

.و فبي الأخير يمكن القول: إنّ فنّ المعارضة عند بومنجل ضرب من الإبداع، وتعبير عن صفاء الطبع، وسلامة الذوق، وأصالة الروح ، وقد رأينا ذلك في قصائده: "أين أزمعت، ابتسام الغريب، العلم والجهل، معلقة الليل، فليرحل الظلام، الوباء القديم، يا أقلام فانكسري".

الخاتمة:

وفي نهاية هذه الورقة البحثية حول معارضات شعر عبد الملك بومنجل توصلنا إلى النتائج الآتية:

-إنّ روح الإبداع ظاهرة بارزة في معارضات الشاعر عبد الملك بومنجل بداية من حسن اختياره لشخصيات معارضَة ذات وزن في الساحة الأدبية سواء أكانت من الشعر العربي القديم كالمتنبي أم من العصر الحديث كأحمد مطر و إيليا أبو ماضي، إلى أساليب التعبير عن قضايا معاصرة.

-تميّزت معارضات عبد الملك بومنجل بالواقعية والالتزام، فهو ينطلق من معارج الماضي إلى الحاضر وكشف خباياه وتشخيص مشكلات الأمة والوطن وما تعيشه من محن وأزمات.

-تميزت المعارضات بالنزوع نحو التجديد وهي معارضات جزئية تقوم على تكييف القصيدة المعارَضَة بما يناسب التعبير عن الواقع المعيش مع المحافظة على الجوانب الفنية والإيقاعية والجمالية.

- تقوم المعارضات عند الشاعر على مبدأ التحوير أي تعديل مضمون النص بما يلائم الموقف الشعري والتجربة الشعرية.

-اعتمدت المعارضات على جزالة التركيب بتوظيف معجم فني مناسب للموضوع، وبعمق التصوير للحالة النفسية (حزن، ألم، معاناة، تفاؤل، تشاؤم)، وبالصدق الفني، وجودة الأداء الجمالي.

-تميزت الصورة الفنية في معارضات بومنجل بالإبداع والابتكار، فهو يصطنع الصور التي تصور الواقع معتمدا على المجاز بتوظيف التعبير الاستعاري.

- للمعارضات أهداف سامية، وقيم إنسانية ، ووطنية، فهي تحمل رسالة مشفرة للوطن والأمة بضرورة التغيير والإصلاح من خلال الاستفادة من تجارب الأمم السابقة بإحياء الماضي المجيد.

-تميّزت معارضات الشاعر عبد الملك بومنجل بالمحافظة على الإيقاع الشعري للنصوص المعارضة شكلا، وزنا وقافية.

هوامش

[1]- الشاعر والناقد عبد الملك بومنجل أستاذ التعليم العالي في النقد الأدبي بجامعة سطيف 2 (الجزائر)، صدر له في الشعر : لك القلب أيتها السنبلة (2000)، حديث الجرح والكبرياء، الدك(تا)تور (2009)، أنت أنت الوطن، عناقيد الغضب (2015)، غربة الشمس، فليرحل الظلام (2020)، وصدر له في النقد والفكر خمسة عشر مؤلفا، أهمها: جدل الثابت والمتغير في النقد العربي الحديث (2010)، مماطلة المعنى في شعر المتنبي (2010)، الموازنة بين الجزائريين: مفدي زكريا ومصطفى الغماري (2015)، الإبداع في مواجهة الاتباع (2017)، حوار الحضارات تعارف وتثاقف (2019)، شارك في عديد من الملتقيات الفكرية والأدبية الوطنية والدولية، والمسابقات الشعرية، وتنشيط حصص وحوارات في قنوات إعلامية كقناة الأنيس، وهو مدير مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده.

[2]- ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، لسان العرب، ج7 ، دار صادر، بيروت ، د.ط، 1956م، ص167.

[3]-أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008م، مادة "ع رض".

[4]- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، 1084م، ص371

[5]-يونس تركي سلوم البجاري، المعارضات في الشعر الأندلسي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2008م،ص47.

[6]- المرجع نفسه،ص48.

[7] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج4، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين،ط1، 1981م، ص78.

[8]-أمين علي سعيد، الشاعر أبو إسحاق الأطعمة ومعارضاته الشعرية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع23، 1978م، ص443.

[9]-أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1954م، ص7.

" البيت العربي لتعلم اللغة العربية 10– مجير الدين الحموي بن تميم، موقع الكتروني www.arabehome.com › poetry › " أطلع-كل ديوان أراه"

[11]-مطلع القصيدة: يا ليل الصّب متى غده أقيام الساعة موعده.

[12]-أبو فراس الحمداني، الديوان، تح. خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1004م، ص 162.
[13]-محمود سامي البارودي، الديوان، ط1، تح. علي الجارم ومحمد شفيق معروف، بيروت، دار العودة، 1998م، ص215
[14]- ابن زيدون ، الديوان ،تح. يوسف فرحات، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي،1994م، ص298.
[15]- أحمد شوقي، الديوان، ج1، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ص147.
[16] - أَبُو عِبَادَةِ اَلْوَلِيدْ بْنْ عُبَيْدْ بِنْ يَحْيَى اَلتَّنُوخِي اَلطَّائِيّ المعروف بِالْبُحْتُرِيّ ، الديوان ، تح. حسن كامل الصيرفي، ط3، دار المعارف، مصر ،2009م، ص470.
[17]- أحمد شوقي، الديوان، ج1، ص204.
[18]-البوصيري، الديوان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص9
[19]-أحمد شوقي، الديوان، ج1، ص597.
[20]- محمد الهادي طرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ص248.
[21]-عبد الملك بومنجل، هذه تجربتي وهذي رؤيتي، دار خيال للنشرح والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، د.ط، 2022م، ص42
[22] - المرجع نفسه، ص42.
[23] -المرجع نفسه، ص43.
[24]-محمود فرغلي علي موسى، نص المعارضة وإعادة إنتاج المعنى، موقع شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، المغرب، الرابط www.alukah.net › library › 11039
[25] -عبد الملك بومنجل، ديوان عناقيد الغضب، ص18.
[26]-الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، تح. لجنة التحقيق في الدار العالمية، الدار العالمية، القاهرة، مصر، د.ط، 1993م، ص ص 14/13.
[27] -عبد الملك بومنجل، ديوان وحي الألم ، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريرج ، الجزائر، ط1، 2021م، ص73.
[28] - المصدر نفسه، ص73.
[29] -المصدر نفسه، ص75
[30] -الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع، ص113
[31] -عبد الملك بومنجل، وحي الألم، ص11.
[32] -المصدر نفسه، ص ص 12/11.
[33] - عبد الملك بومنجل، هذه تجربتي وهذي رؤيتي، ص44.
[34] -أبو الطيب المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، 1983م، ص261.
[35] - عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص1281.
[36] -عبد الملك بومنجل، ديوان أنت أنت الوطن، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، ط1، 2016م، ص21.
[37] - عبد الملك بومنجل، هذه تجربتي وهذي رؤيتي، ص39.

[38] - عبد الملك بومنجل، ديوان أنت أنت الوطن،ص24.
[39] -ديوان المتنبي، ص 471.
[40] -عبد الملك بومنجل، ديوان الدكتاتور، منشورات اقرأ، قسنطينة، ط1، 2009م، ص36.
[41] -ديوان المتنبي، ص471.
[42] -ديوان الدكتاتور، ص 36.
[43] -المصدر نفسه، ص ص 37-38.
[44] -المصدر نفسه، ص38.
[45] -ديوان المتنبي، ص472.
[46] -ايليا أبو ماضي، الديوان، ط1، بيروت، دار العودة، د.ت، ص ص 656/655.
[47] - عبد الملك بومنجل، ديوان غربة الشمس، دار الأوطان للثقافة، الجزائر، 2020م، ص9.
[48] -المصدر نفسه، ص9
[49] -المصدر نفسه، ص55
[50] -المصدر نفسه، ص55
[51] -المصدر نفسه، ص56
[52] أحمد مطر، المجموعة الشعرية، ط1، دار العودة ، بيروت، 2011م، ص ص 202-203 .
[53] - المرجع نفسه.
[54] - عبد الملك بومنجل، ديوان فليرحل الظلام، دار الأوطان للثقافة والإبداع، الجزائر، 2020م، ص37

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1بومنجل عبد الملك، ديوان الدكتاتور، منشورات اقرأ، قسنطينة، ط1، 2009م، ص36.

- ديوان أنت أنت الوطن، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، ط1، 2016م،
- ديوان عناقيد الغضب، ط1،البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، 2016م.
- ديوان غربة الشمس، دار الأوطان للثقافة، الجزائر، 2020م..
- ديوان فليرحل الظلام، دار الأوطان للثقافة والإبداع، الجزائر، 2020م.
- ديوان وحي الألم ، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريرج ، الجزائر، ط1، 2021م،

ثانيا: المراجع

7- ابن زيدون ، الديوان ،تح. يوسف فرحات، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي،1994م.
8- ابن منظور، لسان العرب، مج7 ، دار صادر، بيروت ، د.ط، 1956م.
9- أبو ماضي ايليا ، الديوان، ط1، بيروت، دار العودة، د.ت.
10- البجاري يونس تركي سلوم ، المعارضات في الشعر الأندلسي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2008م.
11- الْبُحْتُرِيّ ، الديوان ، تح. حسن كامل الصيرفي، ط3، دار المعارف، مصر،2009م.

12- البرقوقي عبد الرحمن ، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012
13- البوصيري شرف الدين ، الديوان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 2005م.
14- بومنجل عبد الملك ، هذه تجربتي وهذي رؤيتي، دار خيال للنشرج والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، د.ط، 2022م،
15- الحمداني أبو فراس ، الديوان، تح. خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1004م
16- الشايب أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1954م
17- البارودي محمود سامي ، الديوان، ط1، تح. علي الجارم ومحمد شفيق معروف، بيروت، دار العودة، 1998
18- الزوزني أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، شرح المعلقات السبع، تح. لجنة التحقيق في الدار العالمية، الدار العالمية، القاهرة، مصر، د.ط، 1993م.
19- شوقي أحمد ، الديوان، ج1، نهضة مصر للطباعة والنش والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
20- طرابلسي محمد الهادي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس.
21- عمر أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008م.
22- فروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي، ج4، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين،ط1، 1981م.
22- المتنبي أبو الطيب ، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، 1983م.
23- مطر أحمد، المجموعة الشعرية، ط1، دار العودة ، بيروت، 2011م.
24- وهبة مجدي ، المهندس كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، 1084م
ثالثا: المجلات والمواقع الالكترونية:
25- مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع23، 1978م.
26- محمود فرغلي علي موسى، نص المعارضة وإعادة إنتاج المعنى، موقع شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، المغرب، الرابط
www.alukah.net › library › 11039
27- موقع الكتروني" البيت العربي لتعلم اللغة العربية" الرابط:
www.arabehome.com › poetry › أطالع-كل ديوان أراه"